طرائف اللغـــة

بقلم مهدى أحمد خليل

المفتش بوزارة المعارف سابقا

تحت هذا العنوان سنكتب فصولا فى سنن العرب فى كلامها ، ومختلف لهجاتها وفى طرف من فقه لغتها ، وشرح بعض الألفاظ والجمل التى استبهم معناها ، وذكر مايرادف العامى والدخيل ، ونحو ذلك مما يحتاج إليه طالبو الفقه فيها ، والراغبون فى الوقوف على أسرارها .

تأريخ الكتب

التاريخ (فى اللغة) : تعريف الوقت ، والتوريخ مثله ، يقال أرّخ الكتاب ليوم كذا ووزّخه بيوم كذا ، أى وقّته ، ويقال أيضا : أرّخته أرْخا ، فهو مأروخ وآرخته فهو مؤارخ .

وفى الإصطلاح : تعيين وقت الأحداث بإسناده الى وقت حدوث أمر عظيم . والتاريخ نوعان : شمسى ، وهو المبنى على دوران الشمس ؛ وقمرى ، وهو المبنى على دوران القمر . والثانى هو الذى يجرى به العمل عند الفقهاء

والتاريخ يحمل على الليالى دون الأيام ، لأن أول الشهر ليلة ، ولو حُمل على الأيام سقطت من الشهر ليلة ؛ ومن أجل هذا يراعى التأنيث فيه . وليس فى العربية موضع يغلب فيه المؤنث على المذكر إلا فى التاريخ ، وأما غيره فيغلب فيه المذكر على المؤنث ، فيقال : الزينبات ومحمد اقتصدوا فى مالهم ، والفواطم وحسَن جادوا بما فى أيديهم للمعوزين ، وكذا تقول لرجل معه خمس نسوة : هذا سادس ستة ، أى أحد ستة ، فتغلب المذكر على المؤنث وتثبت التاء ؛ وتقول : صمنا

منذ ثلاث ، فتغلب الليالى على الأيام وتحذف التاء . وإذا ميزت العدد بالليلة ألحقت التاء بصفتها ، تقول كُتِبَ لإحدى عشرة ليلة خلت من الشهر ، ولثلاث عشرة ليلة خلت أو بَقِيَتْ ، وإذا ميزته بالليالى ألحقت بصفتها نون جمع النسوة فتقول : كُتِبَ لأربعٍ بقين ، ولعشر بقين ، على المختار ، لأن الأولى مراعاة اللفظ .

والمختار أن يقال فى أول ليلة من الشهر : كُتِبَ غُرَّةَ شهر كذا ، ومُسْتَهَلّه ومُهَلّه ، أو لأول ليلة منه ، أو لغرته ، أو لمُهَلّه ، أو لمُسْتَهَلّه ، ومنعوا أن يؤرخ ما يكتب فيها بليلة خلت لأنها لم تمض .

(غُرَّة كل شيء : أوله . ومُهَلّ : اسم مفعول ، من أُهِلَّ الهلال : ظَهَرَ . ومُسْتَهَلّ : اسم مفعول من اسْتُهِلَّ الهلالُ ظهر) .

وفى اليوم الأول من الشهر يقال : كُتِبَ فى أول يوم من شهر كذا ؛ أو لأول يوم من شهر كذا ، أو أولَ يوم منه ولليلة خلت منه . وفى الليلة الثانية يقال : كتب لليلة الثانية من شهر كذا . (ويجوز هذا الاستعمال إلى آخر ليلة من الشهر) . وفى ثانى الأيام يقال : لليلتين خلتا . وفى ثالثها : لثلاث ليال خَلَوْنَ ، وهكذا إلى عشر ليال خلون ، بإرجاع النون التى هي ضمير الجمع إلى الجمع . (وذلك أولى من خلت ، لأن مراعاة اللفظ أولى من مراعاة المعنى) . وفى اليوم الحادى عشر إلى الرابع عشر تقول : لإحدى عشرة ليلة خلت ، ولاثنتى عشرة ليلة خلت ، ولأربع عشرة ليلة خلت ، بضمير الفرد المستكن . (ويجوز خلون حملا على المعنى ، والأولى مراعاة اللفظ كما تقدم) .

وفى منتصف الشهر يقال : للنصف من شهر كذا ، وهو أولى من أن يقال : لخمس عشرة ليلة ، خلت ومن أن يقال : لخمس عشرة ليلة بقيت . وفى السادس عشر : لأربع عشرة ليلة بقيت ؛ بإفراد الضمير ، وهكذا إلى التاسع عشر . وفى العشرين يقال : لعشر ليال بَقِين . (وهو أولى من بقيت) . وفى الحادى

والعشرين يقال : لإحدى عشرة ليلة بقيت إلى السابع والعشرين . (وذلك أولى من بقين) . وفى الثامن والعشرين : لليلتين بقيتا . (إذا كان الشهر ثلاثين ليلة) . وفى التاسع والعشرين : لليلة بقيت (إذا كان الشهر ثلاثين ليلة) . وفى الليلة الأخيرة يقال : كُتب لآخر ليلة من شهر كذا أو سَلْخه ، ولا يقال : لليلة بقيت . لأن الكاتب لا يزال فيها . وفى آخر يوم من الشهر يقال : كتب آخر يوم من شهر كذا ، وسَلْخه .

وسَلْخ : مصدر أقيم مقام الزمان ، يقال : سَلَخَنا شهر كذا نَسْلَخُه ونَسْلُخُه سَلْخا : صرنا فى آخر أيامه .

واللام فيما تقدم يقال لها لام الوقت ، أو لام التاريخ ، ومعناها الاختصاص ، وهو هنا على ثلاثة أضرب : الأول اختصاص الفعل بالزمان لوقوعه فيه ، نحو : كتبت لغُرَّة شهر كذا . الثانى اختصاصه به لوقوعه فيه ، نحو : كتبت لليلة خلت . لأن خلت تشعر بوقوع الكتابة بعد الليلة ، الثالث اختصاصه به لوقوعه قبله ، نحو : كتبت لليلة بقيت ، لأن بقيت تشعر بوقوع الفعل قبل الليلة . ويصح فى جميع ماتقدم أن تقول مضت بدل خلت ، وأن تأتى بلام الاختصاص أو تحذفها . هذا وإن الأولى أن تستعمل خلت لأقل من النصف ، وبقيت لأكثر منه . وحاصل ما تقدم مذكور فى قول ابن مالك فى كافيته وهو :

ورا ع فى التاريخ ذى الليالى لسبقها بليلة الهلال
فقل : خَلَوْن وخلت وخَلَتا من بعد لام خافض ما أثبتا
وفوق عشر فضلوا خلت على خَلَوْن واعكس فى الذى قد سفلا
وغُرَّةُ الشهر ومُسْتَهَلُّهُ أولُه وهكذا مُهَلّه
فواحد منها انصبَنْ بعد كَنَب أو قل لأولى ليلةٍ منه تُصِبْ
وفى انقضَا الأكثر قالوا بَقِيَتْ ثم بَقِينَ كخَلَوْن وخلت
وسَلْخه قبل انسلاخه إذا ما آخرا عَنَيْتَ وقَّيتَ الأذى

والأصل فى التاريخ الاسلامى أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنه تأتينا من أمير المؤمنين كتبٌ لاندرى أيها نعمل به ؛ فقد قرأنا صَكًّا (١) كتب فيه شعبان ، فلم ندر أىّ الشعبانَيْن الماضى أم الآتى . وقيل : رفع لعمر صَكٌّ كتب فيه شعبان ، فقال أى شعبان هو ، ثم قال إن الأموال كثرت فينا ، وما قسمناه غير مؤقت فكيف التوصل إلى ضبطه ؟ فقال له ملك الاهواز ، وكان قد أُسِرَ فى فتح فارس وأسلم على يد عمر : إن للعجم حسابا يسندونه إلى من غلب من الأكاسرة . ثم شرحه لهم وبين كيفيته . فقال عمر : ضعوا للناس تاريخاً يتعاملون به ويضبط أوقاتهم ، فذكر له تاريخ اليهود فما ارتضاه ، ثم تاريخ الفرس فما ارتضاه ، فقال : نؤرخ من لدن هجرة النبى صلى الله عليه وسلم لأنه لم يُختَلَفْ فيها ، بخلاف مَبْعَثِهِ وولادته ، وأما وقت وفاته ، وإن تعيَّنَ ، فلا يحسن جعله أصلا ، ووقت الهجرة وقت استقامة الاسلام ، وتوالى الفتوح ، وغلبة المسلمين وكانوا يُعَيِّنون قبل ذلك كل سنة باسم ماوقع فيها ، كسنة الإذن بالرحيل من مكة الى المدينة ، وسنة الأمر بالقتال . وكانوا على عهده صلى الله عليه وسلم يؤرخون بسنة المقدَم وبأول شهر منها ، وهو ربيع الأول على الأصح .

وقيل لم يكن فى صدر الاسلام تاريخ إلى أن ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وافتتح بلاد العجم ودوّن (٢) الدواوين وجبى الخراج وأعطى الأعطية ، فقيل له ألا تؤرخ ؟ فقال : وما التاريخ قيل له : شىء كانت تعمله الأعاجم يكتبون فى شهر كذا من سنة كذا ، فقال عمر : هذا حسن ، فأرّخوا ، فقال قوم : نبدأ بالتاريخ من مبعث الرسول ، وقال قوم : من وفاته ، وقال قوم : من الهجرة . ثم أجمعوا على الابتداء بالتاريخ من الهجرة ، ثم قالوا : بأى الشهور نبدأ ؟ فقال بعضهم : نبدأ من

(١) الصك : الكتاب الذى يكتب فى المعاملات والاقارير . (مصباح)

(٢) التدوين : جمع الصحف والكتب ، ومنها الديوان ، وهو مجمع الصحف والكتب . وكان يطلق فى الأول على كتاب يجمع فيه أسامى الجيش وأهل العطية من بيت المال .

رمضان . وقال بعضهم : من المحرم لأنه وقت منصرف الناس من حجهم . وكانت الهجرة فى شهر ربيع الأول . وكان مَقدَم الرسول المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت منه . فقدم التاريخ على الهجرة شهرين واثنتى عشرة ليلة ، وجعل من المحرم . وكانت العرب تؤرخ بالحوادث المشهورة كواقعة الفيل (١) ، وحرب الفِجَار (٢) ، وبناء الكعبة .

وقد ولد الرسول صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، وبين عام الفيل والفجار عشرون سنة (فى أواخر القرن السادس للميلاد) ، وبين حرب الفِجارِ وبناء الكعبة خمس عشرة سنة ، وبين بناء الكعبة ومبعث الرسول صلى الله عليه وسلم خمس سنين . والله أعلم .

(١) كان أبرهة الاشرم من ملوك اليمن ميالا إلى الديانة النصرانية ، وقد أراد أن يحول الحج من مكة إلى اليمن فامتنع العرب فجرد جيشاً لتخريب الحرم كان فى مقدمته فيل عظيم ، ولما قاربوا مكة أرسل الله عليهم طيراً أبابيل (جماعات) ترميهم بحجارة من سجيل (طين محروق) فجعلهم كعصف (ورق زرع يابس) مأكول .

(٢) كانت بين قريش ومن معها من كنانة ، وكان معهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعمره عشرون سنة ، وقيس عيلان فى الجاهلية ، وقد هزمت فى نهايتها قيس ، وإنما سميت بالفجار لأنها كانت فى الأشهر الحرم فيها القتال ، فلما قاتلوا فيها قالوا فجرنا ، ولم يكن فى أيام العرب أشهر منها .